مؤسسة القديس انطونيوس



كتابات الآباء

ظهور المسيح المحيي

للقديس أثناسيوس الرسولى

يناير ١٩٨٤

مقـــدمة لاهـــوتية

هذا الكتاب هو الكتاب الثانى الذى كتبه القديس اثناسيوس للرد على بدعة أبو ليناريوس ولذلك فهو تكملة لكتاب « تجسد ربنا يسوع المسيح » الذى صدر فى يناير ١٩٨٣ ٠

وقد سبق أن كتبنا لمحة تاريخية فى الكتاب الأول وأشرنا الى محتوى هرطقة أبو ليناريوس (راجع الكتاب الأول) ٠ كما درسنا أهمية وجود النفس الانسانية فى المسيح ٠

يهمنا فى هذه العجالة البسيطة أن ندرس موضوع الوسيط بين الله والنـــاس وهو الاله المتجسد الذى ينـــوب عن الله لدى البشر وينوب عن البشر لدى الله ٠ هذا الموقع المتبادل فى الاختصاص هو سر قوة تعليم الفداء ٠ وهو الذى جعل لموت المسيح ولقيامته الأهمية الكبرى لحياتنا والذى جعل أى تفسير خاطىء للعقيدة هو فى الواقع هـــدم لخلاص الانسان ٠

أهميـــة الكتاب الثـــانى :

يختلف الكتاب الثـــانى عن الكتاب الأول فى انه يحدد مصدر هـــرطقة أبو ليناريوس واعتمـــادها على الأريوســية ثم على أم الهرطقات جميعا وهى هرطقة مانى التى نادت بثنائية بين الجســد والروح والخير والشر وجعلت اله الخير كائن آخر غير اله الشر ٠

والأسئلة العقائدية المتفرعة عن هرطقة مانى قد شرحها وأجاب عليها القديس اثناسيوس الرسولى فى فقرات (٥ ــ ٦ ــ ٧ ــ ٨) وبشكل خاص (فقرة ٩) ٠ وعن السؤال عن عدم وجود خطية فى

المسيح أكد اثناسيوس قداسة المسيح بسبب أمرين **أولهما** : ميلاده من الروح القدس ومن ومن عذراء · **وثانيهما** : الاتحاد بين اللاهوت والناسوت · والاتحاد بشكل خاص معناه أن قداسة الابن الكلمة أى صفته الأقنومية صارت لجسده وبالتالى قابل المسيح التجارب والشيطان انسانيا ولكنه زود جسده بالقوى الالهية التى جعلت الشيطان يندحر (راجع فقره / ١٠) ·

ونظرا لأهمية « الوسيط » سوف نخصص الصفحات التالية لدراسة موجزة جدا تاركين للقارىء استنتاج أهمية التجسد وضرورة الاعتقاد السليم بأن المتجسد هو ابن الله وابن الانسان وأنه شخص واحد لا يمكن أن ينقسم الى اثنين من بعد الاتحاد بل هو واحد منذ الاتحاد (فقرة : ١٠) ·

وساطة المسيح :

(أ) من هو الوسيط :

يقول الرسول بولس « أحيا لا أنا بل المسيح يحيا فى ، والحياة التى أحياها الآن هى حياة ايمان ابن الله الذى أحبنى وأسلم نفسه لاجلى » (غلا ٢ : ٢٠) وبهذه العبارة البسيطة والعميقة معا وضع لنا الرسول ثلاثة عناصر متحدة معا : اختفاء الحياة القديمة ـ ولادة الحياة الجديدة فى المسيح ـ اعتماد هذه الحياة الجديدة على صليب الرب وقيامته ـ وهكذا يجب أن نفهم وساطة المسيح فى شكلها الرسولى الأصيل · فهو الوسيط الوحيد بين الله والناس واستحالة وجو وسيط آخر نابعة من حقيقة واضحة جدا وهى استحالة وجود وسيلة أخرى للخلاص من الموت والخطية بدون ربنا يسوع المسيح · فالكلام عن وسيط آخر أو طريق آخر غير المسيح يعنى بكل وضوح هو عدم فهم لحقيقة مأساة السقوط ونتائجها المدمرة وفى مقدمتها الموت ·

لكن وساطة المسيح يجب أن تفهم بشكل صحيح • فالكلام عن الوساطة يجلب معه أخطارا شديدة لا يمكن قبولها • فالوسيط لا يمكن أن يكون الها فقط ، لأن الوهية الوسيط وحدها سوف تترك مشكلة الموت الانسانى بلا علاج • ولا يجب أن يكون انسانا فقط لأن هذا يعنى أن الوسيط بدوره خاضع لذات المشكلة التى يجب أن يخلص نفسه منها أولا ، وهنا سخرية أحد اللصين « انزل عن الصليب فنرى ونؤمن » كان اللص يرى أن موت المسيح هو النهاية واستحالة الخلاص ولكن ان بقى حيا ربما استطاع أن يقود حركة عصيان ضد السلطة ولم يكن اللص يفهم أن التمرد والعصيان هما الشيطان والموت ، ورفض منطق الحياة من أجل الحياة • ولا يمكن أن يكون الوسيط مزيجا من اللاهوت والناسوت أو كائن مكون من الاثنين فالكائن الذى هو مزيج ـ وهذا هو تعليم أبو ليناريوس ـ لا يكون الاله الحق والانسان الكامل • فالمزيج ليس هو الاله الحق لأن لاهوته امتزج بعنصر آخر ولا هو انسان كامل لأن ناسوته لم يعد يشبه الطبيعة الانسانية • الذى جاء لأجلها •

(ب) تعليم الهراطقة عن الوسيط :

هكذا وان الصراع العقيدى بين الآباء وهراطقة القرنين الرابع والخامس وفى مقدمتهم أريوس وأبو ليناريوس ونسطور وأؤطاخى• هؤلاء كانوا يؤمنون كل على حدة بشكل معين للخلاص•كان الخلاص الأريوسى هو تقدم دائم نحو الكمال وبالأعمال الصالحة وبذلك لا يكون المسيح سوى النموذج الكامل الذى تقتدى به الانسانية • وكان أبو ليناريوس يرى أن الخلاص هو تحول اخلاقى بمحاربة دور العقل البشرى فهو المجال الأصيل للشر وبالتالى عندما تجسد المسيح لم يكن له عقل انسانى بالمرة وهذا ما يجعل الخلاص هو تشبه بأخلاق المسيح دون بحث كيفية الاتحاد بالمسيح أو أهمية عبارة كعبارة الرسول بولس « مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح

حى فى » (غلاطية ٢ : ٢٠) · ومع انكار الاتحاد بين الناسوت واللاهوت كان نسطور قد عاد الى الأريوسية لأنه علم نفس تعليم اريوس مؤكدا أن المسيح الانسان سعى نحو الكمال وان الكمال نالة كجائزة بسبب حلول اللاهوت فية لا سيما بعد معموديتة من يوحنا · وخلف هرطقة أوطاخى تكمن هرطقة مانى وثنائية الغنوسية وهى القائلة باعتبار الجسد المادى من صنع اله الشر وهو ما يجعل وجود الابن المتجسد شيئا مزعجا لا يمكن قبوله عند المانويين ولذلك نادوا بخيالية الجسد الانسانى واعتبروه خالا وجاء اوطاخى يكمل كلامهم وادعى بأنه ذاب حسب تعبيره الذائع · « مثل نقطة خل فى محيط من الماء » ·

(جـ) تناقض الهرطقات مع حقائق الخلاص :

فالهرطقات الأربعة القديمة الأريوسية ـ الابو لينارية ـ النسطورية ـ الاوطاخية هى المدارس الفكرية التى ولدت فى أحضان المانوية والغنوسية وحاولت أن تفسر دون أدنى تردد كل عقائد المسيحية · وهنا نكتفى فقط بالجانب الخاص بالمسيح لنرى كيف أن الهرطقة مدرسة كاملة وليست تعبيرا أو كلمة أى عبارة والقائلون بأن الهرطقة كلمة انما يبسطون الأمور أكثر مما يجب وهو تبسيط ينتهى بنا الى نسيان الموضوع برمته·

كانت الأريوسية ترى أن الله لا يمكنه أن يتصل بشكل مباشر بالمخلوقات ولذلك خلق عدة كائنات متوسطة أى الهية يمكنها أن تقوم بخلق العالم ·

واعتبر أريوس أن المسيح له المجد هو واحد منها · هذه نظرية الوثنية القديمة التى اعتنقها مارقيون وباسيليدس وفالنتيان وغيرهم من أقطاب الشيعة الغنوسية · ومع هذا نرى كيف يتحول الكائن المتوسط المسيح الى مخلص للخليقة الساقطة · وطبعا لا يبقى أمام

أريوس سوى المستوى الاخلاقى المقدس الذى نراه فى الانجيل وهو ما حاول يسوع المسيح نفسه الوصول اليه وبذلك فتح لنـا الطريق للوصول الى الحياة الاخلاقية الجيدة اذا قبلنا أن نتشبه به ٠

هنا تختفى تماما كلمات هامة مثل : النعمة ـ المغفرة ـ الحياة الجديدة ـ الاتحاد بالمسيح ـ وهنا أيضا يحرص الآباء على ابراز نقطة الضعف فى المدرسة الآريوسية ويقدمون الحل الأرثوذكسى بتأكيد ضرورة اشتراك الانسان فى الطبيعة الالهية (٢ بط ١ : ٤) ٠ من هو عديم الموت وخالد لا يموت ، ومن هو الكامل الصالح والقدوس؟٠ اذا كان الجواب هو الله وحده فان هذه الخيرات لا يمكن أن تعطى للخليقة الا بواسطة الله ٠ اذا المخلص لا بد وأن يكون الله نفسه ٠ ولكن كيف تعطى ؟ الجواب بوسيلة انسانية وهنا يجب أن يتجسـد حتى يمنح لنا من خلال جسده الحياة الجديدة ٠

بالنسبة الى أبو ليناريوس كان ايمانه بألوهية المسيح صحيحا فهو عدو لدود للآروسية ولكنه عندما واجه سؤال الآريوسية : كيف أخذ المسيح عقلا وطبيعة انسانية خاطئة ؟ فانه تطرف فى الرد على السؤال الآريوسى وقال ان المسيح كان اللوغوس العقل الالهى الذى حل محل العقـل البشرى فالمسيح لاهـوت وجسـد بشرى بلا نفس انسانية (١) ومع صحة اعتقاده بلاهوت المسيح الا أن الناسوت غير كامل أو بالحرى الاتحاد ناقص ٠ فاتحاد الله الكلمة بجسـد مثـل جسدنا حسب تعبير مؤلفنا القديس اثناسيوس لا يعنى بقاء الخطية

---

(١) جمع العالم الالمـانى Lietzmann كل نصوص أبو ليناريوس ونشرها سنة ١٩٠٤ م ٠

فى الجسد الانسانى (٢) · فالاتحاد والصليب والقيامة هو الذى جعل الجسد بلا خطية بل لم ير فسادا · ولو كان للمسيح عقل سمائى هو اللوغوس ولم يكن له عقل انسانى مثل عقلنا فهذا يعنى أن العقل الانسانى ترك بلا فداء · وهنا يجب أن نقف عند هذه النقطة فالاتحاد هو دعامة الخلاص حسبما ذكرنا فى مقدمة الكتاب الأول ان كل ما أخذه المسيح قد نال الشفاء فيه وكل ما رفضه ولم يأخذه ترك بدون شفاء (٣) ·

وماذا يعنى الاتحاد بالناسوت ؟ انه يعنى تجديد الناسوت ويعنى أيضا :

أولا ـ التجديد الذى يحدث فى الناسوت أى ناسوت المسيح هو الذى سوف يوهب لكل انسان فى المعمودية والافخارستيا ·

---

(٢) يقول اثناسيوس فى كتاب « تجسد الكلمة » عن ناسوت المسيح · « جسد من جنسنا » (٨ : ٣) · « جسد لا يختلف عن جسدنا » (٨ : ٢) · « أخذ جسدا مماثلا لطبيعتها » (٨ : ٤) · « جسد قابل للموت » (٩ : ١) « جسد قابل للموت لانه مماثل لاجساد البشر » (٩ : ١) راجع (١٣ : ١) « جسد بشريا قابلا للموت » (٢٠ : ٤) « جسد مثل سائر البشر نظراته » (٢٠ : ٤) · هذه العبارات تؤكد أن جسد المسيح أيضا قابل للموت وهو ما يسميه اثناسيوس جسد قابل للفساد ولكن المسيح بالاتحاد نزع عنه هذه الصفة والتقى بالفساد وبالموت فى جسده هو واباد الموت والفساد بالاتحاد وبالقيامة (٤٤ : ١ ـ ٦ ص ١٣٥) « جسد قابل للموت ـ أى الفساد الطبيعى وفق الناموس الطبيعى ولكنه بفضل اتحاده بالكلمة لم يعد خاضعا للفساد » (٢٠ : ٤ ـ ١٧ : ٧) · (ذكرنا رقم الفصل والفقرة واعتمدنا على ترجمة الأب الفاضل القس مرقس داود) ·

(٣) راجع « تجسد ربنا يسوع المسيح » المقدمة (ص ٤ ـ ٥) ·

ثانيا ـ كل ثمار هذا الاتحاد هى التى ننالها للحيـاة الأبدية وبشكل خاص القيامة من الموت وحياة عدم الفساد ٠

ثالثا ـ فى هذا الاطار يجب أن نفهم معنى الشركة فى الطبيعة الالهية فنحن من خـلال الوسيط أى ربنا يسـوع المسيح وبالاتحاد السرى بجسـده ننال ما ناله جسـد المسيح من تجديد أى القيـامة والشركة فى اللاهوت ٠

فى هذا الاطار أيضا انزعج الآباء من هرطقة نسطور وهى وان كانت تحتاج لمناقشة خاصة ألا أنها لا تختلف عن أبو ليناريوس الا فى نقطة واحدة محددة وهى عدم فهم الاتحاد ٠ ففى الوقت الذى انكر فيه أبو ليناريوس وجود نفس انسانية ، انكر فيه نسطور عدم وجود اتحاد بالمرة وهذا الاتفاق هو على النتيجة النهائية أى الخطأ فى فهم الاتحـاد ٠

(د) ماذا يعنى الخطأ فى فهم الاتحاد أو انكار النفس الانسانية:

أولا ـ ان المسيح انسان غير كامل فقد أخذ نصف الانسـان فقط ٠ وهذا يطرح عدة اسئلة خطيرة طرحها آباء مثل غريغوريوس النيسى وباسيليوس وغيرهم عن مصير العقل والنفس الانسانيةكيف ترث هذه النفس ملكوت الله وكيف تتجدد وقد تركها المسيح خارجا لأنه لم يتحد بها ٠ فما اتحد به هو الذى سيدخل الملكوت ٠ أما ما لم يتحد به فلن يرى ملكوت الله ٠

ثانيا ـ المسيح ليس الكاهن الذى به تدخل صلوات الكنيسـة الى الآب ولعلنا هنا يجب أن نتوقف برهة حول قوة التسليم الرسولى والآبائى الذى احتفظت به الكنيسة القبطية فهى بعد تلاوة الصلاة الربانية وقبل ختـام الصلاة نقول « بالمسيح يسـوع ربنا » ٠ فكل ما طلبناه لا يمكن أن يتحقق الا بالمسيح يسوع ربنا الذى يمثـل كهنوته حقيقتين أساسيتين :

(أ) انه نائب عنا يظهر أمام وجه الآب لأجلنا وبالتالى فهو يحمل كل ما فى الانسان : الجسد والارادة والعقل والنفس ولكنها صارت ممجدة فيه ، وظهوره أمام الله الآب لأجلنا (عب ٩ : ٢٤) يعنى انه قائم بدلا عنا يشفع فينا بحضوره · فالآب يقبل صلوات الكنيسة به والآب يعطى كل شىء لنا فيه « مهما سألتم من الآب باسمى فهذا افعله » (يو ١٤ : ١٣) ·

(ب) ينوب المسيح عنا كآدم الثانى الذى قهر الخطية فى جسده · ويناقش القديس اثناسيوس هذا فى الفقرة ٨ ، ٩ ، ١٠ من هذا الكتاب مؤكدا أن الرب « **نازل العدو وأحرز النصر بذلك (الجسد) الذى سبق أن هزم ومر يسوع بكل صور التجارب كاملة لأنه أخذ الذى يمكن أن يجوز التجربة وبكل هذه أحرز النصر للانسانية قائلا «افرحوا أنا قد غلبت العالم» (يو ١٦ : ٣٣) · فالشيطان لم يحارب اللاهوت الذى يعرفه بل لم يكن يجسر على ذلك ···** » **(فقرة : ٩) لكن حارب الشيطان الناسوت المتحد به اللاهوت ولذلك يقول اثناسيوس « فأعلن الرب مجد الانسان الفائق الذى لا يمكن ادراكه وذلك بالاتحاد والشركة بالحق فى الطبيعة الالهية لله العلى » (فقرة : ٨)** · هكذا تم الانتصار ·

ثالثا ــ وكما أشرنا مي قبل كان التجديد قد تم فى المسيح يسوع نفسه أولا وهنا يسجل اثناسيوس « فولد من امرأة وجدد فى ذاته صورة الانسان كما خلقت فى البدء ، وذلك بالظهور بجسده الخالى من الشهوات والافكار الجسدية ، وصار مثال التجديد · والارادة الالهية الخاصة بالكلمة كانت أيضا فى صورة العبد لأن ملء اللاهوت حل عندما تجسد وظهر كآدم الثانى دون أن ينقسم الى شخصين ، وانما تم اتحاد حقيقى بين اللاهوت والناسوت ،

ولذلك اقترب الشيطان من يسوع كانسان ولكنه لم يجد فيه ملامح الانسان القديم ولا الزرع الذى زرعه (الشيطان) فى الانسان ولذلك لم ينجح فى تجاربه فهزم واندحر ٠٠٠ لذلك قال الرب رئيس هـذا العالم آت ولن يجد فى شيئا (يوحنا ١٤ : ٣٠) ٠٠ أى فى كيانه الانسانى كله والحقيقى ولا يشير الى جسده المنظور فقط (بل والنفس أيضا) وهكذا ابيدت الخطية بالمسيح (١ بط ٢ : ٢٢) (فقرة ١٠)٠

وهكذا يجب أن نفهم أن الانتصار على الشيطان هو أحد نتائج الاتحاد وأن الاتحـاد هو الذى اباد من الطبيعة الانسـانية الزرع القديم الذى غرسه الشيطان فى الانسان ٠ يؤكد اثناسيوس أكثر من مرة أن الذى جرب هو الناسوت (فقرة : ١٣) وأن الذى كان وراء الانتصار هو الاتحاد (فقرة : ١٠) ٠

(هـ) الاتحاد وموت المسيح على الصليب :

يقرر اثناسيوس التعليم الرسولى القديم بأن موت المسيح على الصليب كان انفصال النفس عن الجسد « **وعندما صرخ بصوت عال، أعلن عن نفسه الانسانية التى أسلمها دون أن تنفصل عن اللاهـوت وانما بخروج نفسه مات الجسد ، أما اللاهوت فلم يفترق من الجسد فى القبر ولا من نفسه فى الجحيم ٠ وهذا هو معنى الكلمات التى نطق بها فم النبى « لن تترك نفسى فى الهاوية ولن تدع قدوسك يرى فسادا** » (مز ١٦ : ١٠) (فقرة : ١٤) ٠

وهكذا كان من الضرورى تأكيد اتحاد اللاهوت بالجسد والنفس ذلك ان الاتحاد كما يقول اثناسيوس يعنى مسألتين :

(أ) «بنفس الاله انحلت قبضة الموت وتمت القيامة من الجحيم»

(ب) « بجسد المسيح ابطل الفسـاد وسطع عدم الفسـاد من القبر » (فقرة : ١) ٠ فالنقطة الاساسية تظل ــ لو انفصل اللاهوت عن الناسوت لأصبح :

(أ) موت المسيـــح موتا ذاتيا له لا يحقق أى شىء للانســانية ولا له هو شخصيا لأنه لم يكن محتاجا الى الموت ٠

(ب) يظل الجسد بلا تجديد وتظل النفس بلا امكانيات الاتحاد بالله والعودة الى حياة عدم الفساد فى الله ٠

اذا انفصلت النفس عن الجسد وظلت النفس متحدة باللاهوت الذى ظل أيضا متحدا بالجسد وهذا ما يجعل اثناسيوس يقول « تم موتنا نحن » (فقرة : ١٥) (راجع الحاشية رقم ١٤) ٠

هنا نفهم بشكل جلى كما فى « **تجســد الكلمة** » ان الموت الذى جازه الرب كان موتا انسانيا حقيقيا لأنه أدى الى انفصال النفس عن الجســد ولكن العنصر غير الانســانى هو اتحــاد اللاهــوت بالناسوت رغم انفصال النفس عن الجسد٠هذا الاتحاد سببه قداسة الابن الكلمة وعدم وجود خطيئة فيه لأن الخطية هى مصدر الانفصال٠ ولكن يهمنا هنا أن نرى زاوية أخرى هامة وهى أن عذاب المسيح على الصليب كان عذابا لا يطاق لأنه كما يقول الرسول « حمل خطايانا فى جسده على الخشبة » (١ بط ٢ : ٢٤) ، هذا ما جعل انفصــال النفس عن الجسد أمرا ضروريا ليتم الموت وليتم حقيقة قيامه مقام الانسان الا أن بقاء اتحاد اللاهوت بالنفس حاملة خطايانا وبالجسد التى تأثر بهذا فمات يجعل آلام المسيح الداخلية أكبر وأعظم من أن يتصورها عقل ٠ انها تحتاج لعقل الهى له جسد انسانى حتى يمكن الحديث عنها واعلانها ٠

(و) النعمـــة :

اذا دققنا النظر جيــدا امكننا أن نجد أن النعمة كما يشرحها الكتاب ليست فكرة عقلية كما هو شائع فى أيامنا الحاضرة وانمــا هى بكل تأكيد أحد ثمار التجسد فهى « **الهيــة انسانية** » **أو حسب التعبير السائد عند الآباء لاسيما فى القرن الرابع** Theandric **من الهى** Andrikos ، **انسان ،** Theos

هذه النعمة نابعة من الاتحاد أيضا ولذلك هى Theandric (الهية انسانية) « **الذين يقسمون المسيح الواحد هم بلا ادراك ، أما الذين يقولون بأن اللاهوت ناقص والناسوت ناقص فهم هراطقة ينكرون التدبير وبذلك يهلكون · لأن التدبير قد تم فعلا والحق أعلن والنعمة اختبرت ··· » (فقرة : ٣) · فالنعمة هى خلاص البشر** (فقرة : ٥) ومصدر النعمة هو التجسد « اذا لم يكن عدم الخطية قد ظهر فى الطبيعة التى اخطأت · فكيف قيل أن الخطية ادينت فى الجسد » (رومية ٨ : ٣) ··· ولماذا قال الرسول « حيثما كثرت الخطية ازدادت النعمة جدا » (رومية ٥ : ٢٠) ولم يكن يشير بذلك الى موقع جغرافى تزداد فيه النعمة ، وانما قال بوضوح « كما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم ··· هكذا بانسان واحد يسوع المسيح تملك النعمة ··· » (رومية ٥ : ١٢) (فقرة : ٥)·

فالنعمة فاضت من التجسد « أليس من الواضح وبكل يقين أن الطبيعة التى ملكت عليها الخطية هى بذاتها التى فاضت منها النعمة الكثيرة » (رو ٥ : ١٧) (فقرة : ٧) · والنعمة هى تجديد الانسانية الذى تم أولا بالاتحاد بين اللاهوت والناسوت ·

يقول اثناسيوس « أعلن عدم موته بموت جسده ، وعدم فساده فى جسده الذى دفن ، وعن انتصاره فى جسده الذى جرب » وتجديد ذاك القابل للبلى لأن انساننا العتيق قد صلب معه (رومية ٦ : ٦) هذه هى النعمة ··· (فقرة ٥ : ١٣) ·

وهذا يجعل الهية النعمة وعدم انتمائها الى الطبيعة المخلوقة بل الى الاتحاد السرى فى تجسد ربنا هو التعليم الصحيح الذى يلقى أضواء كثيرة على الحياة الروحية وعلاقتها بالثالوث وعلى أسرار الكنيسة السبعة بشكل خاص ·

رفاع صوم الميلاد ١٩٨٣ **جورج حبيب بباوى**

ظهـــور (١)
المســـيح المجيــى

المسيح اله متجســد :

١ ـ على الذين لا يعترفون بأن ربنا يسوع المسيح هو (شخص) واحد من الله الآب ومن البشر ، أن يخبرونا بمعنى ما هو مكتوب فى الانجيل « ابن آدم ، ابن الله » (لوقا ٣ : ٣٨) ٠ وعليهم أيضا أن يخبرونا كيف يؤمنون به الها حسبما قيل انه كائن « فى صورة الله » وكيف أخذ » صورة العبد » (فيلبى ٢ : ٧٦) ، أو كيف يفهمون هذه الكلمات « والكلمة صار جسدا وحل بيننا » (يوحنـا ١ : ١٤) فالذى قال « الكلمة صار جسدا » ، هو الذى قال « وأعطى حياته لنا » (يوحنا ٣ : ١٦) ٠ فهل يفترض هؤلاء أن الكلمة قد تحول الى جسد أو أنه أخذ ما يشبه النفس الانسانية ، أو أن له صورة انسانية بلا جوهر انسانى كما ادعى الهراطقة الآخرون ؟٠ أن كلام الرسول يوحنا الواضح لا يسمح بهذه الآراء مطلقا ، وانما أخبرنا يوحنا من هو (الكلمة) وما الذى اتخذه ٠

أما « صورة الله » فهى تعنى كمال ألوهية الكلمة وكذلك صورة العبد هى كمال الطبيعة الانسانية وبشكل خاص العقل أو النفس وسـائر الاعضاء والحيـاة النفسية والجسدية الانسانية ٠ وهكذا من فعل « كان » ندرك أزلية الكلمة أما فعل « صار » فيعنى التجسد الذى تم حقيقة ، والذى فيه وجود للنفس الانسانية ، لانه بدونهـا

---

(١) الظهـور هو الاعلان ، وهى كلمة هامة تعنى ما حققه التجسد من اعلان عن الآب والابن والروح القـدس ٠

لا يمكن أن يقال انه « أخذ صورة العبد » فالطبيعة الانسانية لاتكون كاملة بدون الجوهر أو الكيان العقلى · لذلك وحسب التعبير الشائع الذى يقال عندما يموت الانسان ويصفون به الميت بأنه «بلا صورة» لان الصورة الانسانية تنحل عندما تفارق النفس الجسد ، فالنفس ليس لها طبيعة تتحلل مثل الجسد ، ولكنها متى فارقت الجسد تحلل الجسد ·

وهكذا نرى أن بولس يعلن عن الطبيعة العاقلة الانسانية باستخدامه تعبير « صورة العبد » أما يوحنا فيعلن لنا عن الأداة التى أعلن فيها الكلمة ذاته أى الجسد ، وبذلك يخبرنا كلاهما عن كمال سر التدبير ·

ومن الواضح أن الله الكلمة ، الكائن قبل كل الدهور ، قبل أن يجىء الينا ، ويحل بيننا ، لم يكن له جسد وانما كان الاله مع الاله ، وكان غير المنظور ولا زال غير المتألم ·

اسم « المسيح » يشير الى التجسد :

وكذلك أيضا لا يمكن أن نستخدم اسم « المسيح » بدون الاشارة الى التجسد ، لان الاسم يدلنا على الآلام والموت أيضا ، كما يكتب بولس أن المسيح هو « باكورة الراقدين » وأيضا « المسيح فصحنا قد ذبح لاجلنا » و « الانسان يسوع المسيح الذى بذل ذاته فدية لاجل كثيرين (١ كو ١٥ : ٢٠) (١ كو ٥ : ٧ ـ ١ تيمو ٢ : ٥و٦) · فالمسيح ليس الها فقط ، بل انسانا أيضا ، ولذلك يقول الرسول أيضا « اذكر يسوع المسيح المقام من الاموات الذى هو من نسل داود » (٢ تيمو ٢ : ٢٨) · ولذلك تقدم الاسفار الاعلان الكامل عنه بواسطة الاسماء المتنوعة التى تؤكد أنه غير منظور ، ولا يمكن أن نلمسه كاله ، أما بعد أن تجسد حقا ، فقد صار منظورا ولمسه كثيرون · ولكنه هو بذاته لا ينقسم بسبب تنوع الاسماء ، فهو

لا ينقسم الى شخصين وانما هو واحد ، هو بذاته ولد أزليا من الآب ومن ذات جوهره ، واتحد اتحادا كاملا بلا انفصال (بالناسوت) حتى انه عندما تألم حقا ونفذت فيه الآلام ، فانه هو نفسه يجب أن نعترف به متألما وغير متألم • فكيف يمكن للكلمة الاله أن يدعى يدعى « المسيح » قبل تجسده ؟ ولو كان اسم المسيح خاصا بألوهيته فقط ولا علاقة له بالتجسد ، لصار من الحتمى أن نستخدم ذات الاسم « المسيح » للآب والروح القدس ، وكذلك أيضا ننسب الآلام للآب والروح القدس كما أدعى بعض الهراطقة • فهل تقولون أنتم بأن الله الكلمة بذاته ، الذى هو غير متألم ولا محسوس قد تألم ومات قبل أن يتجسد ويتأنس ؟!! ولكن كيف يمكن للابن الذى هو واحد مع الآب فى الجوهر ولا ينفصل عن جوهر الآب أن يتألم وهو كاله غير متغير ، الا اذا كان قد أخذ من أحشاء العذراء انسانية كاملة واتحد بالصورة الانسانية وتأنس ، وبذلك يمكن أن يقال أنه تألم كانسان وظل غير متألم ولا متغير كاله ؟•

معنى مسح يسوع بالروح القدس :

٣ ـ ولنفس السبب أيضا مسح بالروح القدس ، ليس لأن اللاهوت قد مسح (بضم الميم) أو أنه يحتاج الى المسحة ، ولكن أيضا لا يمكن أن تتم المسحة بدون اللاهوت ، فهو كاله مسح جسده، وجسده هو الذى تقبل المسحة • فمن الواضح أننا لا نستطيع أن نصف الكلمة بالمسيح بدون الجسد البشرى • كما أنه لا يمكن أن يكون هو المسيح لو كان قد أخذ جسدا خياليا أو شبه النفس الانسانية ، وانما هو أخذ « صورة العبد » بغير استحالة ، التى فيها جوهر الحياة الانسانية وهذا ما أعلنته صراحة الآلام والقيامة والتدبير كله ، حسبما هو مكتوب ومعلن بكل وضوح •

افكار الهراطقة عن التجسد :

أخبرونا كيف جاء الله وحل فى الناصرة ودعى ناصريا ؟لقد

فشل الهراطقة جميعا فى شرح هذه الحقيقة · وحتى « بولس الساموساطى » الذى يعترف بأن الله من العذراء ، وأن الله قد شوهد فى الناصرة ، يخطىء عندما يضيف الى هذا قوله بأنه « ابتدأ من الناصرة » أى لم يكن له وجود سابق وأزلى على حلوله فى الناصرة · ويخطىء أيضا بقوله أنه صار فى الناصرة ملكا ، لانه الملك الازلى · ورغم أنه يعترف بأن فيه (فى المسيح) حل كلمة من السماء وحكمة وأن هذه الحكمة كات قبل الدهور ، الا أنه يخطىء بقوله أنه ابتدأ ولم يظهر الا فى الناصرة · هذا هو كفر بولس الساموساطى ، لان الابن هو الاله الحق وحده الكائن قبل كل الدهور وفوق الكل هو والآب وحده ·

أما « مرقيان » ومانى فيقولان بأن الله جاء وسكن بيننا من العذراء ولكنه جاء بشكل غير محسوس وغير مدرك ، ولا يمكن أن يتصل بالطبيعة الانسانية الساقطة التى خضعت لرئيس الظلمة · ولو اتحد المسيح بهذه الطبيعة لصار تحت سلطان رئيس الظلمة ، كما أنه لن يكون حرا من الخطية · وحسب كفر هؤلاء أخذ الابن حسب مسرته جسدا خاصا يشبه جسدنا ، ولكنه جاء من السماء ونزل من السماء ، فالجسد هو اله كامل حسب زعمهم ·

أما « فالنتينوس » ، فقد تكلم عن الآلام ونسبها الى أقانيم الثالوث لانه تصور أن الجسد هو جزء من الثالوث ولم يأخذه الابن من العذراء ·

أما « آريوس » فهو يعترف بالجسد فقط وينكر ألوهية الابن ، ويقول أنه عوضا عن الانسان الذى فينا أى النفس ، حل الكلمة فى جسد بلا نفس ، وبذلك يتجاسر وينسب الى اللاهوت ذاته الآلام والقيامة من الجحيم ·

ولم يكن « سابليوس » يختلف كثيرا عن بولس الساموساطى واتباعه بل عبر عن نفس الآراء وكانت له جرأة مثل الاريوسيين فى تقسيم جوهر اللاهوت ·

وسقطة سابليوس لا تختلف عن سقطة آريوس لان انكار التمايز بين الاقانيم يؤدى الى انكار ألوهية كل أقنوم من أقانيم الثالوث ٠

فالى أى من هؤلاء تنسبون أنفسكم ومع من تتفقون ؟٠ أم ينطبق عليكم القول الشائع عندنا بأنكم « سلالة مختلطة » ؟ عندما رفضتم اتحـاد اللاهوت بالناسوت وضعتم أنفسكم مـع هؤلاء الهراطقة ، وعندما انكرتم كمال اللاهوت وكمال الناسوت ، فقد انكرتم كل ما يخص الله وكل ما يخص الانسان وجعلتم من المسيح كائنا وسطا بين الله والانسـان (١) ٠ والذين يقسمـون المسيـح الواحد هـم بلا ادراك ، أما الذين يقولون بأن اللاهوت ناقص أو الناسوت ناقص فهم هراطقة ينكرون التدبير وبذلك يهلكون ، لان التدبير قد تم فعلا والحق أعلن والنعمة قد اختبرت وشهد الذين اختبروها لحقيقتها ٠

من هـو المسـيح ؟ :

٤ ـ لمـاذا تستخدمون أساليب السفسطة ؟ لمـاذا تلجأون الى النفاق الذى يظهر ما لا يبطن ؟٠ لمـاذا لا تعترفون علنا بأنه جـاء وتجسد وأخذ صورة العبد ؟٠ لمـاذا تقولون « لقد ظهر كما لو كان انسانا » ؟ لمـاذا هذا الغموض المتعمد الذى يتكرر فى كل مناسـبة خصوصا وعندما تحاولون شرح الايمان ٠ انكم بكل تهور تحاولون هدم التدبير بقولكم اننا نحن (الارثوذكس) نعتقد بأن « المسيـح انسان تأله » كل هذه المحاولات الباطلة سوف نواجهها بسؤال : كيف تفهمون الكلمات « فى البدء كان الكلمة » وما بعد هذه الكلمات « أخذ صورة العبد » وأيضا « والكلمة صار جسـدا » ٠ ان شرح الهراطقة لهذه الكلمات لا يخرج عن هذه التأويلات ! اما ان الكلمة انسان كان مع الله منذ الازل ، أو أنه انسان له علاقة وثيقة خاصة

---

(١) كان ابوليناريوس يعتقد بأن المسيح ليس الها ولا انسانا وانما هـو حلقة متوسطة بين الاثنين ٠

بالله ، أو أن الذى مات وقام من أجل العالم هو انسان وهو جزء من العالم أو حسب زعمكم أنتم وهو نفسه زعم هراطقة سابقون عليكم أن المسيح انسان خاطىء مثلنا لانه أخذ طبيعتنا أو أنه انســان له مكانة أرفع من مكانة الملائكة ، أو أنه انسان تعبده الخليقة · ياليتكم تدركون كلمات الرسول انه هو الرب المتجسد الذى يقول عنه « بولس عبد ليســوع المسيح » (رو ١ : ١) · فهو الانســان الذى صلب ولكنه هو رب المجد ، وهو انسان بكل حق ، ولذلك قيل له « اجلس عن يمينى حتى أضــع اعدائك موطئا لقدميك » ، وتأكيد انسانيته لا يلغى حقيقة ألوهيتــه لانه هو الآتى لكى يدين العــالم فى اليوم الاخيـر ·

هذا هو خمركم المعتق الذى تقــدمونه للبسطاء فيشربون منــه ويفقدون وعيهم (حبقوق ٢ : ١٣) · اسألوا الذين آمنوا من اليهود لعلكم بعد أن تسمعوا كلماتهم تخجلون من أنفسكم بمقارنة أقوالهــم بأقوالــكم وأقوال *الهراطقــة · واذا حصرنا كل الآراء العقــائدية* للهراطقة وما توصل اليه ذكاؤهم من استنتاجات عقائدية وجدنا انها تختلف تماما عن قاعدة الايمــان فى الانجيــل (٢) وتعليم الرســل وشهادة الانبياء وعن كمال سر التدبير الذى أكمل فينا ·

اتحاد الله بالانسان لتجديده وخلاصه :

٥ ــ والآن أخبرونا كيف تقولون أن « الله جاء وابتدأ وجوده من الناصرة » وبذلك تؤكدون كفر بولس الساموساطى الذى ادعى أن ابتداء اللاهوت كان بالتجسد ، أو كفر مارقيون وباقى الهراطقة الذين أنكروا ميــلاده بالجسد ، لأنهم انحرفوا عن طريق الانجيــل وتعليمه المستقيم ، واختاروا أن يتكلموا من ذواتهم (راجع يوحنا

---

(٢) قاعدة الايمان فى الانجيل أو HOROS هى المضمون العقائدى لكل ما فى العهــد الجــديد وهى التسليم الرسولى الخاص بكل جــوانب الايمان المسيحى ·

٨ : ٤٤) ٠ أن قصدكم الواضح من هذه العبارة « الله ولد من العذراء (٣) يظهر من عدم اعترافكم بأنه الاله المتأنس ، حسب قاعدة الايمان فى الانجيل ، ولذلك فأنتم رغم اعترافكم بميلاده بالجسد ، الا أنكم لا تعترفون بأن الله قد أخذ بميلاده جسدا حقيقيا ، وانما تعترفون بأنه أظهر جسدا خاصا به ، ليس الا خيالا أو ظهورا ٠ ان الله لم يبدأ وجوده من الناصرة ، بل هو كائن قبل كل الدهور ، والله الكلمة قد ظهر فى الناصرة عندما تجسد وولد من العذراء القديسة مريم بالروح القدس فى بيت لحم اليهودية ومن نسل داود وابراهيم وآدم ، كما هو مكتوب ، وأخذ من العذراء كل ما سبق الله وصوره فى البدء وجعله للانسان ، ولكن بلا خطية ٠ وعن هذا يقول الرسول « فى كل شىء مثلنا ولكن بلا خطية » (عبرانيين ٤ : ١٥) ٠ والتجسد ليس تحولا فى جوهر اللاهوت ، وانما هو تجديد الانسانية حسب ارادته وذلك لكى « يصير الأمم من ذات الجسد ويشتركون فى المسيح » (أفسس ٣ : ٦) ٠ وكذلك يكتب الرسول لكى يصير الانسان الها ٠ ولكن هذا لن يتحقق الا اذا صار الله انسانا بكل حق ويبقى ألاله الكامل والانسان الكامل ٠ اما الادعاء بأنه « انسان صار مع الله » حسب تعبيركم الردىء فهذا يقضى على سر تقوى المسيحيين (١ تيمو ٣ : ١٦) ، وانما الحق هو أن ألاله الابن الوحيد بكمال وملء ألوهيته قد سر أن يأخذ لذاته من أحشاء العذراء وبميلاد طبيعى واتحاد لا انفصال فيه (ان يأخذ) الطبيعة الانسانية التى خلقت فى البدء وأن يجدد هذه الطبيعة لكى يؤسس خلاص البشر بالآلام والموت والقيامة ٠

العقل والفكر الانسانى لم يكن خاطئا أصلا :

٦ ــ أنتم تقولون « اذا كان قد أخذ تاسوتا كاملا فبكل يقين

---

(٣) واضح أن العبارة صحيحة ولكنها تستخدم هنا فى اطار سوء النية الذى يقوم على اعتبار أن الولادة ابتداء لكيان الابن الالهى وليس تجسده ٠

كانت له أفكار انسانية ، ولكن من المستحيل أن تكون الأفكار الانسانية خالية من الخطية ، وكيف يصبح المسيح فى هذه الحالة بلا خطية ؟ » ٠ أخبرونا ، اذا كان الله هو خالق العقل والافكار التى تقود الى الخطية ، فاننا يجب أن ننسب هذا لله لأن خليقة الله ، هى ما خلقها وصورها بنفسه وهو المسؤول عنها ٠ وفى هذه الحالة يصبح ظلما ان يحاسب الخطاه ، لأنه اذا كان الله خالق الافكار ، فكيف يحاسب الخطاة ، واذا كان آدم خاضعا للفكر الشرير قبل عصيانه الوصية، فكيف قيل أنه لم يكن يعرف الخير من الشر ؟ لقد خلق بطبيعة عاقلة، وبفكر حر لا يعرف الشر وانما كان يعرف الخير فقط فكان كائنا فريدا (مزمور ٧/٦٨ س) ، ولكن عندما عصى وصية الله ، فقد خضع للأفكار التى تقوده للخطية ليس لأن الله هو الذى خلق الأفكار نفسها التى قادته أسيرا وانما بخدعة الشيطان زرع الشيطان هذه الأفكار فى الطبيعة العقلية للانسان التى عصت وابتعدت عن الله ، وهكذا غرس الشيطان فى طبيعة الانسان ناموس الخطية والموت الذى يملك من خلال الاعمال الخاطئة (رومية ٧:٢٣ و ٧)٠ ولذلك السبب جاء ابن الله لكى « يبيد أعمال الشيطان » (١يوحنا ٣ : ٨) ٠

كيف أباد أعمال الشيطان :

أنتم تقولون « انه أباد أعمال الشيطان لأنه لم يخطىء (١) ولكن هذا ليس ابادة للخطية بالمرة ٠ فالشيطان لم يصنع الخطية أصلا قبل خلق الانسان وبالتالى لم يخطىء الانسان عندما جاء الى العالم٠ وابتعاد الانسان عن الخطية لا يمكن أن يعتبر ابادة لما صنعه الشيطان ٠ وانما قدم الشيطان الخطية الى طبيعة الانسان العقلية وزرع فيها الخطية ٠ وكان من المستحيل على هذه الطبيعة العقلية التى اخطأت بارادتها الحرة ، فوقعت تحت عقوبة الموت ان تعود

(١) لم يخطىء أى لم يكن له طبيعة انسانية أصلا ٠

الى الحرية ، كما يقول الرسول « لأن ما كان الناموس عاجزا عنه اذ أنه كان ضعيفا بسبب الجسد » (رومية ٨ : ٣) لذلك جاء ابن الله لكى يجدده فى طبيعته (٢) ، ويمنحه بداية جديدة ميلادا ثانيا عجيبا ، وليس بتقسيم الطبيعة الانسانية ، تاركا العنصر الذى أفسده الشيطان تحت سيادة الشيطان ، وانما بالقضاء التام على العنصر الذى خلق تناقض الانسان مع الله ، فخلق له النقيض، فأباد ما زرعه الشيطان فى (الطبيعة الانسانية) ، وكما يقول شاهدا على ذلك · قبل أن يعرف الصبى الخير من الشر » (أشعياء ٧ : ١٦) ، فرفض الشر لكى يختار الخير · ولكن اذا لم يكن عدم الخطية قد ظهر فى الطبيعة التى اخطأت فكيف قيل ان الخطية « ادينت فى الجسد » (رومية ٨ : ٣) ، اذا كان هذا الجسد غير قادر على التصرف (٣) · واللاهوت لا يعرف الخطية · ولماذا قال الرسول « حيثما كثرت الخطية ، ازدادت النعمة جداً » (رومية ٥ : ٢٠) ، ولم يكن يشير بذلك الى موقع جغرافى تزداد فيه النعمة، وانما قال بوضوح « كما بانسان واحد دخلت الخطية الى العالم وبالخطية دخل الموت ، هكذا بانسان واحد يسوع المسيح تملك النعمة بالبر للحياة الابدية » (رومية ٥ : ١٢) ، وهكذا بالطبيعة التى دخلت بها الخطية الى العالم ، هى بذاتها التى يظهر منها البر ، وبذلك وحده تباد أعمال الشيطان بتحرير الطبيعة الانسانية من الخطية ·

المسيح اله تجسد ليخلص الذين يؤمنون :

٧ ـ ولكن أنتم تقولون أيضا « اذا كان المسيح انسان فهو جزء من العالم ، وجزء من العالم لا يستطيع أن يخلص العالم يا للضلال

---

(٢) الطبيعة Physis هى كيان الابن الالهى أو شخصه كما يظهر فى مقالة اثناسيوس عن المجامع : ٥٢

(٣) أى بلا عقل وفكر بشرى ·

والتحريف الجنونى (٤) !! · يا ليتهم يقولون لنا من أى سفر من أسفار الكتاب المقدس أخذوا هذا القول السفسطائى الشيطانى ، لأن النبى يقول « الأخ لا يفـدى أخاه ولكن انسان سـوف يفدى » (مزمور ٤٩ : ٨ س) ، وفى موضع آخر « انسانا ولد فيها العلى الذى أسسها » (مز ٨٧ : ٣ س) · فكيف اذن صـار المسيـح انسانا لكى يخلص العـالم ؟ · أليس من الواضح وبكل يقين أن الطبيعـة التى ملكت عليها الخطية هى بذاتها التى فاضت منهـا النعمة الكثيرة (رو ٥ : ١٧) · وهذا يعنى أن الكلمة ظل الهـا وتجسد وتأنس لكى نؤمن به الها وانسانا وهكذا نؤمن بالمسيح هو الاله الذى أخذ صورة الانسان لكى يخلص الذين يؤمنون ويتم القول « اذا اعترفت بفمك أن يسوع رب وآمنت بقلبك ان الله اقامه من الأموات خلصت » (رو ١٠ : ٩) والواقع ان الله غير قابل للموت ولا هو محتاج للقيامة لأنه هو الذى يقيم الموتى · ولذلك صار من الضرورى أن يكون لله شىء يقدمه (عبرانيين ٨ : ٣) لأجلنا فى الموت وفى الحياة ، وهكذا بتأنس الكلمة أمكنه أن يخلصنا ·

النفس غير الجسـم :

٨ ـ ولكنكم تقولون « كيف تستطيع الطبيعة التى تعودت على الخطية وورثت (٥) الخطية أن تصبح بلا خطية ومن هذه الزاوية بالذات يصبح من المستحيل أن يصبح المسيح انسانا » هذا ما علـم به مارقيون من قبل ، وهذا بدوره هو خلاصة تعليم مانى الذى جعل

(٤) يوجد هنـا فى الاصل اليونانى نوع من الايقـاع يشبه السجع فى اللغة العربية ولذلك النص هو « هذه الفكرة تعنى أنك بلا عقل أو مجنون » epinoio, aponoia

(٥) الكلمة اليـونانية Diadochin تعنى خـلافة أو وراثة أو نقـل ·· الخ ·

الجسد وكذلك تناسل الانسان تحت سيطرة اله الشر الذى يسمونه خـالق الشر ٠ ويؤيدون قولهم باقتبـاس كلمات الرسـول بطـرس « ما انغلب منه انسان صار له مستعبـدا » (٢ بطرس ٢ : ١٩) هذه هى آراء الهراطقة التى تجددونها أنتم والتى تؤكدونها بطريقة أخرى بالنسبة « للطبيعة العقلية للانسان أى النفس » وتؤكدون أنها غير قادرة على تجنب الخطية وهذا بدوره ما جعلكم تصفون النفس بأنها جسد « وما هى القـاعدة التى تستندون عليها وتؤيدون بهـا وجهة نظركم » ؟٠ أنا لا أعلم لأننى لا أجد ما تقولونه فى الاسـفار المقـدسة ولا فى أى شىء قيـل عن الانسان خصـوصا قول الـرب « لا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولا يقدرون على قتل النفس » (متى ١٠ : ٢٨) ٠ واذا كانت النفس كما تقولون أنتم جسدانية ، فلماذا لا تموت وتتحلل مع الجسـد ؟ وأيضا لمـاذا سـمى بطرس النفوس الأسيرة فى الجحيم « بالأرواح » قائلا ان المسيح ذهب فكرز بخبر القيامة السار « للأرواح التى فى السجن » (١ بط ٣ : ٢٠)٠ ولكن أنتم تصفون كل شىء بعبارة « ضد الطبيعة » لكى تفلتوا من الأمـور الطبيعية فى التـدبير فتضطـرون للاعتراف بالحـق وأبن الكلمة حقا صـار جسدا ٠

معنى « منـذ حداثته » :

ولقد قلتم من قبل أن صوت الله هو الذى يقول « عقل الانسان ميـال للخضوع للشيطان منذ حداثته » (الترجمة اليونانية تكوين ٨ : ٢١) دون أن تدركوا أن عبارة « منذ حداثته » تعنى ما يزرع بعد الولادة وهو ما هو زائل ٠ ومن أجل ذلك أقسم الرب قسم امانة لداود أنه « من ثمرة جسدك سوف يقيم المسيح حسب الجسـد » (أعمال ٢ : ٢٠) وهـذا لا يعنى بالمرة أننا سـنراه كما لو كان اللاهوت قد تحول الى ناسوت ، ولو حدث هذا فما هو الداعى لأن يقسم الرب لداود ؟ ولكنه عندما أخذ صورة العبد خضـع للميـلاد من امرأة وللنمو فى القامة مثلنا (غلاطية ٤ : ٤ ـ لوقا ٢ : ٢)

كما يقول الرسول ولأن الأولاد شركاء فى اللحم والدم هكذا اشترك هو أيضا فيهما (عبرانيين ٢ : ١٤) « وهكذا » تشير ليس الى ولادته من زرع بشر ، بل من الروح حيث نال جسدا مثل أجسادنا وليس من مصدر آخر بل من نسل داود وابراهيم وآدم كما هو مكتوب ٠

رب المجد :

٩ ـ اذا كنتم تقرأون الأسفار المقدسة ، اعلانات الحق ، فلماذا تقولون انه لم يظهر كانسان بارادته ، وعندما أخذ كيانا انسانيا فانه فقط التصق بانسان (٦) وتقولون أيضا « كيف يمكن أن يصبح انسانا وبعد ذلك نعتبر أن الذى صلب هو رب المجد » ٠

فاذا سمعتم بطرس يقول « يسوع هذا الذى أنتم صلبتموه ، قد جعله الله ربا ومسيحا » (أع ٢ : ٣٦) فالى من تشيرون فى فهمكم لكلمة « جعله » اذا كانت الاشارة الى ألوهية الكلمة ، فلماذا تلومون الآريوسيين ما داموا يفكرون مثلكم ؟٠ واذا كانت الاشارة الى صورة العبد التى أخذها الكلمة ، فلماذا تناقضون أنفسكم ٠ ولكن ليس هذا ايمانكم لأنكم تقولون « اذا كانت الطبيعة التى

---

(٦) هنا نرى بوضوح كيف صارت هرطقة ابوليناريوس هى بداية للهرطقة النسطورية ذلك أن القديس غريغوريوس النيسى يقتبس نصا فى غاية الاهمية عن ابوليناريوس « لقد التصق Cunifthi الله بانسان ، وهذا يعنى وجود اثنين ، واحد هو الابن بالطبيعة والآخر هو ابن بالتبنى » (Antirrhe : 42) وهذا ما كتب ضده القديس كيرلس الاسكندرى وهو بداية الجدل حول فكرة الالتصاق أو المصاحبة Cunifthi بين اللاهوت والناسوت كتعريف مضاد تماما للتجسد القائم أصلا على الاتحاد (ضد نسطور مقالة ١ : ٢ وكل كتاب المسيح واحد) ٠

أخطأت لم تعد تخطىء عندما صارت كائنة فى الله ، فهذا يعنى أنها صارت تحت ضغط بسبب ضرورة وجودها فى الله ، ولكن ما هوتحت الضغط هو فى الحقيقة تحت القهر والاكراه » ٠

المسيح حطم ناموس الخطية وسبى الشيطان :

أخبرونا هل عدم الخطية هو حالة تنشأ من الضرورة والقهر ، اذن الخطية هى حالة طبيعية عندما لا توجد ضرورة ٠ وهذا يعنى انكم توافقون على أن خالق الطبيعة هو مصدر الخطية ومصورها ٠ أما اذا كانت هذه الكلمات تجديفا ، فالخطية تنشأ من قوة مؤثرة قاهرة وخارجية ويصبح عدم الخطية هو فى الطبيعة ٠ ولذلك لم يكن بالقهر وبالضرورة ان صورة العبد لم تخطىء عندما رأيناها فى ألوهية الله الكلمة وانما هو قد حطم حاجز القهر الضرورة و « ناموس الخطية » (رومية ٧ : ٢٣) وأخذ المستبد صاحب الأسر ، أسيرا كما يقول النبى « صعدت الى العلا وسبيت السبى نفسه » (مزمور ٦٨ : ١٩ و ٢٠) فالكلمة تقدم بصورة العبد ونازل العدو وأحرز النصر بذلك الذى سبق أن هزم ٠ ولذلك مر يسوع بكل صور التجارب كاملة ، لأنه أخذ الذى يمكن أن يجوز التجربة(٧) وبكل هذه أحرز النصر للانسانية قائلا « افرحوانا قد غلبت العالم » (يوحنا ١٦ : ٣٣) ٠ فالشيطان لم يحارب اللاهوت الذى لا يعرفه (٨) ،

---

(٧) يعنى أثناسيوس النفس والعقل وهما العنصر الذى دخلت به الخطية الى العالم ٠

(٨) توجد عبارات كثيرة عند الآباء تؤكد أن الشيطان كان يجهل الوهية الابن ولعل أقدمها على الاطلاق ما جاء فى رسالة اغناطيوس الى افسس « أما رئيس هذا العالم (الشيطان) فقد جهل بتولية مريم وميلادها ، وكذلك موت الرب ٠ ان ثلاثة أسرار مدوية تمت فى صمت الله » (فقرة ١٩ : ص ٣١ تعريب جورج حبيب بباوى) ٠

بل لم يــكن يجسر على ذلك وهو ما جعله يقــول « ان كنت أنت ابن الله ··· » (متى ٤ : ٣) ، لأنه بالنسبة للانسان فقد كان قادرا على اغرائه واخضاعه ومنذ سقوط آدم وجه الشيطان ضد كل الجنس البشرى أسلحة شره · ونفس آدم سجنت وصارت تحت حكم الموت وكانت تصرخ لربها ومعها صرخ كل الأبرار الذين ارضوا الله وتبرروا حسب الناموس الطبيعى (٩) ، والكل كان فى الأسر مع آدم يبكون وينوحون معــه · فأشفق الله على الانســان الذى صنعه وسر بأن يعلن السر الذى يتضمن خــلاص البشر والقضاء على العدو الذى خدع الكل بالجسد فأعلن الرب مجد الانسان الفائق الذى لا يمكن ادراكه وذلك بالاتحاد والشركة بالحق وفى الطبيعة الالهية لله العلى ·

تجسد ليعطى الحيــاة للانسان :

١٠ ـ من أجل ذلك تجسد الكلمة وتأنس وهو الاله وصــانع الانسان لكى يعطى الحياة للانسان ولكى يبيد العدو الظالم ، فولد من امرأة وجدد فى ذاته صورة الانسان كما خلقت فى البــدء وذلك بالظهور بجسده الخالى من الشهوات والأفكار الجســدية وصــار مثال التجديد · والارادة الالهية الخاصة بالكلمة الاله كانت أيضا فى صورة العبــد لأن ملء اللاهوت حل عندما تجســد وظهر كآدم الثانى دون أن ينقسم الى شخصين ، وانما تم اتحاد حقيقى بين اللاهوت والناســوت ، ولذلك السبب اقترب الشيطان من يســوع

---

(٩) يؤكد اثناسيوس ان معرفة الله هى عطية فائقة يعلنها الله (تجسد الكلمة : ١١) ويؤكد بدوره ان الابرار الذين عاشوا بالناموس الطبيعى حسب (روميــة ٢ : ١٤) قد تبرروا بمعرفتهم للخالق ولكنهم مع ذلك كانوا تحت سلطان الموت ، لان عدم الموت هو عطية فائقة للطبيعة · وقد استقــر هــذا الاتجاه فى كتابات آباء الاسكندرية منذ زمن اورجينوس (ضد كلسوس ٥:٣٧)، وراجع أيضا (خاتمة الرسالة للوثنيين لاثناسيوس) ·

كانسان ، ولكنه لم يجد فيه ملامح الانسان القديم ولا الزرع الذى زرعه فى الانسان ، ولذلك لم ينجح فى تجاربه ، فهزم واندحر فى اضطراب وعجز فسأل « من هذا الآتى من أدوم » أى من أرض البشر و « يسير بقوة » (أشعياء ٦٣ : ١) لذلك قال الرب « رئيس هـذا العالم آت ولن يجد شيئا فى » (يوحنا ١٤ : ٣٠) ، رغم أننا تسلمنا وتعلمنا أن آدم الثانى كان له نفس آدم الأول وجسده وكل ما يخصه • وما ذكره الرب بقوله « لن يجد شيئا فى » تشير الى كيانه الانسانى كله والحقيقى ، ولا يشير فقط الى جسده المنظور وكيف يمكن أن يكون هذا عن جسده فقط ؟• لقد جاء الشيطان وجربه ولم يجد « فيه » الأشياء التى سبق الشيطان وعرضها على آدم الأول وزرعها فيه ، وهكذا أبيدت الخطية بالمسيح • وهذه هى شهادة الاسفار عنه « لم يخطىء ولا وجد فى فمه غش » (١ بطرس ٢ : ٢٢) •

متى نال الانسان التجديد :

١١ ـ لماذا تقولون « من المستحيل أن يتحرر الانسان الذى تم أسره » • هل تنسبون العجز الى الله والقدرة الى الشيطان ؟• ولماذا تقولون ما يقوله الهراطقة الآخرون بأن الخطية لم ولا يمكن أن تباد بواسطة طبيعة البشر ، وأن اللاهوت الذى لم يستعبد (يسبى) ، جاء فى « شبه » النفس والجسد ، لكى يظل اللاهوت بعيدا عن مجال السبى ، وبذلك يعلن البر علانية •

والسؤال هو متى كان بر الله غير علنى ؟ أليس بر الله علنيا وهل استفاد الانسان ونال التجديد الا عندما أخذ الرب طبيعة مماثلة لطبيعتنا فجددها وبذلك أظهر التجديد الذى قال عنه الرسول « الطريق الذى جعله جديدا لنا حديثا وحيا » بقوله « أنا هو الطريق والحياة والحق » (عبرانيين ١٠ : ٢٠ ـ يوحنا ١٤ : ٦) •

ولكنكم تقولون « ان الذين يؤمنون يخلصون بالتشبه والمحاكاه (١٠) فقط وليس بالاشــتراك فى التجديد وفى باكورة الثمــار » ـ ونحن بدورنا نسألكم ، لمــاذا صار المسيح هو رأس الجسد الكنيسة ٠ والبكر بين أخــوة كثيرين وباكورة الراقدين ؟ (كولوسى ١ : ٨ ـ رومية ٨ : ٢٩ ـ ١ كورنثوس ١٥ : ٢٠) ٠

الايمــان الحقيقى :

ان الايمان الذى يعتمــد على المحاكاة والتشبه بما هــو ممكن ويجعل غايته ما هو ملموس وظاهر فقط لا يمكن أن يدعى ايمانا ٠ ولكن الايمان هو الاعتقاد بأن المستحيل ممكن أن يتم وأن العــاجز ينال قوة وأن المتغير ينال الثبات وأن الفاسد ينال عدم الفساد وأن المــائت يصــير خالدا ٠ وهذا ما يقوله الرسول « هــذا السر عظيم ولكننى اتكلم عن المسيح والكنيسة » (أفسس ٥ : ٣٢) فاللاهوت لم يتبرر لأنه لم يخطىء ، ولكن « الغنى افتقر لأجلنا لكى نصــير نحن بفقره أغنياء » (٢ كورنثوس ٨ : ٩) ولقد تم هذا عنــدما أخذ الطبيعة التى صارت فقيرة ، واحتفظ ببره الشخصى ، فقدم هذه الطبيعة لكى تتألم عوضا عن كل البشر ، بينما هى أسمى من البشر وأعلنت كطبيعة انسانية حقيقية ولكنها كانت كلها لله ٠ واذا كان لم يولد فكيف صار بكرا من بين الأموات ؟٠

---

(١٠) من الواضح أن الاتجاه الروحى للهراطقة الابولينارية هو اتجــاه اخلاقى فقط دون أن يكون له أى أساس لاهوتى قائم على الشركة السرية بين المسيح والمؤمنين ٠ ومن هذه الزاوية بالذات يعتبر ابوليناريوس أيضا رائد الاتجــاه البيلاجى Pelagian الذى تزعمه بيلاجيوس والذى يقوم على انكار النعمة الالهية وعملها فى تجديد الانسان ٠

(١١) راجــع المقــالات الاريوسيين ١ : ٦٠ ـ ٣ : ٣٢ ـ الرســالة الى ابكتيتوس : ٦ (تعريب الاستاذ صموئيل كامل والدكتور نصحى عبد الشهيد ديسمبر ١٩٨١) والفصل الثانى عشر من فصول القديس كيرلس ضد نسطور٠

كيف يمكنكم أن تقولوا معترضين (على عبارة) « الاله الذى تألم وقام من الموت بالجسد » بالفظاعة التجديف والعبارات الغامضة : ان هذه اللغة الوقحة هى لغة الاريوسيين ، لأنهم بلا خجل قد اقدموا على هذا التجديف ، وتجاسروا على أن يسموا ابن الله ، الها دون أن يكون لهذه الكلمة أى معنى حقيقى عندهم بينما تعلمنا الأسفار ان الآلام حدثت فى جسد الله دون أن يتألم اللاهوت بآلام الجسد ٠

المسيح غير متألم كاله ولكنه تألم لأنه تأنس :

١٢ ـ كيف تستطيعون أنتم الذين تدعون التمسك والاعتراف بالمساواة بين الابن والآب فى الجوهر ، ان تهينوا اسمه وان تنقصوا من قدره الالهى وأن تنسبوا اليه الآلام ؟ ٠ كيف تحطون من كرامته الالهية وتقولون ان اللاهوت قام حيا وتنسبون الآلام والقيامة الى اللاهوت غير المنقسم وغير المتغير والى ذاك الذى لا ينطق بمساواته للآب ؟ ٠ واذا كان الابن صار جسدا واتخذ لذاته جسدا له طبيعة الهية ، فهذا لا يختلف بالمرة عن القول بأنه هو ذاته كاله كان متألما ومات وقام ، وبذلك صارت الآلام عامة للثالوث كما ادعى فالنتينوس، لانه لا يمكن فصل طبيعة الابن الالهية عن الآب ٠ واذا انحرف فكركم الى هذا الاتجاه ، أصبح من الضرورى أن نسألكم كيف تفهمون مواعيد الأنبياء الخاصة بالخلاص وسلسلة انساب الأناجيل،وشهادة الشهداء ، والاشارة الى مريم والدة الاله ، والنمو فى القامة ، ورؤيته وهو يأكل الطعام ومشاركته ورثائه لأسقامنا (عبرانيين ٤:١٥) ويجب أن نضيف الى هذا أيضا ما ينسب لاسمه الواحد مثل قولنا بأن ابن الله صار ابن الانسان « الانسان يسوع المسيح الذى قدمذاته كفارة لأجلنا » (١ تيمثاوس ٢ : ٥) أو « ابن الانسان يجب أن يتألم كثيرا ، ويقتل ويقوم فى اليوم الثالث » (مرقس ٨ : ٣١) **واذا كنتم لا تؤمنون بأن المسيح تألم لأنه تأنس ، وغير متألم لأنه اله، وضيقتنا عليكم القول وأجبتم علينا بأنه لو اعترفنا بأن المسيح اله**

وانسان ، بأن هذا يعنى انه « ليس واحدا بل اثنين ، فان جوابنا على قولكم هو انكم بالضرورة تتبعون مارقيـون وباقى الهراطقـة لأنكم اما انكم تدعون بأن تدبير الآلام والموت والقيامة هو مجردخيال، أو انكم مثل الاريوسيين واتباعهم تدعون بأن لاهوت الكلمة تألم »٠

١٣ ـ اذا قرأتم الأسفار الالهية سـوف تلاحظون على الفور كيف يدعى الرب انسانا فى الناموس والأنبيـاء والاناجيل وباقى كتابات الرسل ، وبعـد ذلك (يرد ذكر) آلامه ٠ ولكى نفحم هؤلاء ونمنعهم من التجديف تماما على لاهوت الكلمة نقول لهم ان الاسفار لم تذكر شيئا عن سلسلة انساب الوهية الكلمة ، وانما تعلن الآب وتبشر بالابن وتعترف به انه المسيح الذى ولد من مريم كابن لداود حسب الجسد لأنه أخذ صورة العبد أى ناسوته الذى نؤمن بأنه أخذه منا نحن البشر ، **ولكننا نعترف به أنه الكلمة الله الذى من الله الآب والذى احتمل الآلام عوضا عن البشر فى صورة البشر التى قبلهـا من البشر ، وأعلن عن عدم آلامه أيضا فى ذات الجسد الذى تألم ، وأعلن عن عدم موته بموت جسده ، وعن عدم فساده فى جسده الذى دفن ، وعن انتصاره فى جسده الذى جرب ، وتجديده لذاك القـابل للبلى لأن « انساننا العتيق قد صلب معـه » (رومية ٦ : ٦) ٠**
هذه هى النعمة ، ولا يوجد فى أى موضع فى الاسفار أن اللاهـوت تألم ، دون أن يكون الكلام عن آلام جسده ، كما انه لم يئن ولاتضايق ولا حزن الا بما أحست به النفس من أحزان وآلام ، كما أنه لم يشعر بالثقـل لم يصل الا بما كان فى عقله الذى غمره الحزن وصلى ٠ وبكل يقين ان كل ما ذكرناه لم يحـدث ولم يمس طبيعته (لاهوته) الا أن ما حدث كان حقيقى ٠ فلماذا تكتبون وتدعون بأن « الله تألم وقام بواسطة الجسد » ، ولو ان الله تألم وقام بالجسد ، فانهـذا يعنى ان الآب والبار قليط قد تألم لأن لجوهر اللاهوت اسم واحـد والطبيعة الالهيـة للثالوث هى طبيعة واحدة ٠

شهادة الكتب المقدسـة عن التجسد :

١٤ ـ من تعبيراتكم السابقة نفهم أنكم تضلون لأنكم لاتخافون الله ولا تطيعون الاسفار الالهية ، لان موسى كتب عن الله « الهنـا نار آكلة » (تثنية ٤ : ٢٤) ، أما عن مجيئه الينا فى الجسد فانه يتكلم عن أنه سوف يقوم « نبيا من بين اخوتكم » (تثنية ١٨ : ١٨) وأن حياته « سوف تعلق على الخشبة » (تثنية ٢٨ : ٢٨ ـ غلاطية ٣ : ١٣) ، لأن جسد الرب سوف يعطى لنا حياة (١٢) ٠ وأشعياء يصرخ معلنا ان الله هـو « الاله العظيم الابدى الذى ثبت اقاصى الأرض ، لا يجوع ولا يتعب » (أشعياء ٤٠ : ٢٨) أما عن آلامـه فيقـول « ضرب لأجلنا ٠٠٠ وتحمل اوجاعنا وعرف كيف يحمـل اسقامنا » (أشعياء ٥٣ : ٣) ٠ وما معنى انه « عرف كيف يحمل اسقامنا ؟ ٠ انهـا تعنى ما تألم به أى القـابل للآلام وما أخذه أى جسده ٠ وعن هـذا يقول النبى أيضا « وقال لى الرب خذ لنفسك لوحا جديدا واكتب عليه بقلم انسان » (اش ٨ : ١ س) أى ارسم صورة انسان كامل وهذا لا يعنى جسدا بلا نفس انسانية ٠ ويقول الرسول « الانسان يسوع المسيح الذى بذل نفسه » (١ تيموثاوش ٢ : ٥ ـ ٦) ٠ وكذلك أيضا العبارة « من نسل داود حسب الجسد »

---

(١٢) يبـدو من القراءة الدقيقة للنص اليونانى أن القـديس اثناسيوس يكتب العبارة المشهورة من القداس الكيرلسى المرقسى والتى تظهر بعد استدعاء الـروح القـدس والتطابق اللفظى ظاهر بكل وضـوح : « ويعطى لنـا حيـاة
« eis zween hemin genomenon »

والقداس « وهذا الخبز يجعله جسدا مقدسا للمسيح ٠ وهذه الكأس أيضا دما كريما لعهده الجديد » ٠ « Ina genwntai Pacin hemin ...

« لكى يكونا لنا جميعا نحن الآخذين ٠٠٠ حياة eis koinwnian ... zwees

يضيفها الرسول مؤكدا بها القيامة (رومية ١ : ٣) ٠ أما عن لاهوته فيقول « ان كلمة الله حى وقادر وامضى من كل سيف ذى حـدين » (عبرانيين ٤ : ٢) ٠ وكثيرا ما أشار الرب الى أن آلامه ستكون حسب الجسد ، أماعن الوهيته فيقول « أنا والآب واحد » و « لا أحد يعرف الآب الا الابن ولا الابن الا الآب وحده » (يوحنا ١٠ : ٣٠ ـ لوقا ١٠ : ٢٢) ٠ ولا يوجد موضع واحد فى كل الاسفار الالهيـة استخدمت فيها الاسفار عبارة « دم الله » بدون الاشارة الى التجسد، أو الى آلام الرب والى قيامته حيا بالجسد ٠ ان أقوالكم هى الاقوال الوقحة التى سبق واستخدمها الآريوسيون ، لانهم لا يعترفون بأن ابن الله هو اله حق ٠

أما الاسفار المقدسة فهى تتحدث صراحة عن « دم و « آلام » جسد الهنا ، فهى هذه التى تنتمى الى جسد الاله المتأنس ، ومعها أيضـا يجب أن نضيف القيامة من الأموات لأن الذى قام هو جسد الاله (١٢) أما أنتم فتقولون العكس تماما ، وماذا تظنون هل أنتم أكثر حكمة من الرسل ، وأكثر قداسة من الأنبياء ، وتقدرون أن تتكلموا أفضل من الانجيليين الأربعة ، أم أن لكم سلطانا أعظم من سلطان الرب نفسه٠ ان اللغة التى تسمونها أنتم « اللغة الاعلانية » ليست سـوى انكارا للحق وتجـديفا على اللاهوت ٠ **أما التدبير فهو واضـح ومعلن فى االصليب لأن جسـده ظهر أنه جسـد حقيقى بواسطة سكب دمه ، وعندما صرخ بصوت عال ، أعلن عن نفسه الانسانية التى اسلمها دون أن تنفصل عن اللاهوت ، وانما بخروج نفسه مات الجسـد ،**

---

(١٣) استخدم اثناسيوس نفس التعبير فى « الرسالة الى ادلفوس : ٣ » (تعريب صموئيل كامل ونصحى عبد الشهيد ديسمبر ١٩٨١) ٠

أما اللاهوت فلم يفترق من الجسد فى القبر ولا من نفسه فى الجحيم(١٤) وهذا هو معنى الكلمات التى نطق بها فم النبى « لن تترك نفسى فى الهوية ولن تدع قدوسك يرى فسادا » (مزمور ١٦ : ١٠) ٠ وعن هذا قال الرب نفسه « ليس أحد يأخذها منى ، وانما أنا أضعها بذاتى » (يوحنا ١٠ : ١٨) أى عندما أكون هنا (١٥) فسوف يظهر معنى هذه العبارة ٠

نفس المسيح وجسده :

١٥ ـ وهكذا « بنفس » الاله ، انحلت قبضة الموت ، والقيامة من الجحيم تمت ، والارواح الأسيرة سمعت البشارة المفرحة ، « وبجسد » المسيح أبطل الفساد وسطع عدم الفساد من القبر ٠ وهكذا لم ينفصل الناسوت عن اللاهوت ولا تخلى اللاهوت عن الناسوت ، ولا بالموت وانفصال الروح كان اللاهوت قد فارق الجسد، وانما فارقت النفس الجسد وبذلك تم موتنا نحن (١٦) ٠ ولكن

---

(١٤) يؤكد هذا التعبير الواضح ما جاء فى القداسات القبطية وبشكل خاص فيما يعرف باسم القسمة السريانية وهذا يعنى أن هذه العبارات سابقة على البدعة النسطورية وربما أقدم من عصر اثناسيوس نفسه ، لاحظ الاعتراف الاخير فى القداس القبطى « لاهوته لم يفارق ناسوته لحظة واحدة ولا طرفة عين ٠٠٠ » ٠

(١٥) الاشارة هنا الى النزول الى الجحيم ٠

(١٦) فى الحقيقة أن القديس اثناسيوس لم يستخدم كلمة لاهوت ولا كلمة ناسوت وانما استخدم الله والانسان والعبارة حرفيا هى : وهكذا لم ينفصل الانسان عن الله ولا تخلى الله عن لانسان ٠٠ الخ ٠ ويبدو أن هذا عن قصد لان غاية اتحاد اللاهوت بالناسوت هو مصالحة الانسان مع الله ٠ هذه المصالحة لا يمكن أن تتم اذا تحول موت المسيح نفسه الى ظاهرة انفصال اللاهوت عن الناسوت ، لان الانفصال معناه القضاء التام على المصالحة ٠ وهكذا يجب أن نفهم حقيقة موت المسيح الذى هو موتنا نحن ٠

لو انفصل اللاهـوت عن الناسوت ، وتم الموت تحت هـذا الظرف . فكيف ظل الناسوت بلا فساد وهو منفصل عن اللاهوت غير الفاسد؟ وكيف استطاع الكلمة أن يدخل الجحيم ؟ وكيف أعلن القيـامة من الجحيم ؟ · هل قام اللاهوت من الموت عوضا عن النفس الانسانية التى تخصنا ، وبذلك يكون قد اعلن ما يشـبه قيامتنا ؟ · كلا كيف نتصور أن الله يخدع البشر بهذا الشكل ؟ ان اقوالكم مناقضة تماما للأسفار المقدسـة وتعليمكم لا يتفق مع التـدبير الذى أكمل · أما الكلمات « اجلس عن يمينى » (مزمور ١١٠ : ١) فهى لا تعبر عن كرامة الانسان ولكن كرامة الله ، ولكن حيث أن كرامة الله صارت كرامة الانسان ، ولكى نؤمن ان كرامة الله صارت كرامة الانسـان قيـل « اجلس عن يمينى » و « مجدنى أيهـا الآب بالمجد الأبدى » (يوحنا ١٧ : ٤) · ولم يقـل ذلك لأنه انفصل عن مجده ، ولكن لأنه جاء فى الجسـد الذى بلا مجد ، ولكى يظهر أن صورة العبـد ليست منفصلة عن المجد الالهى ، وانما صارت تعلنها · ولذلك أيضا قيل « مجدت وسوف أمجد أيضا » (يوحنا ١٢ : ٢٨) معلنا بذلك أن المجد الكائن قبل التجسد هو نفسه المجد الواحد الذى سوف يحل فى الجسـد ، كما قال الرسـول « صائرا أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسما أفضل منهم لأنه لمن من الملائكة قال قط ، اجلس عن يمينى ! » (عبرانيين ١ : ٥ ـ ٦) · ويقينا فان الكلمة خالق الملائكة لم يصبح أقل من الملائكة ، لأنه لم يكن قط أقل من الملائكة وانما حدث هذا عندما أخذ صورة العبد ورفعها الى فوق فيه فصارت فيه أعظم من الملائكة بل لقـد صارت الخليقة كلها أعظم من الملائكة (١٧) لأنه

---

(١٧) يشرح اثناسيوس آثار التجسد فى «المقالة ٢ : ٦٢ ضد الاريوسيين» على أنه : (١) رد الخليقة الى ما كانت عليه · (٢) وأعطى البشر الاخوة الروحية للمخلص الذى صار يرأس كبكر الخليقة الجديدة ·

« صورة الله غير المنظور » وصار « بكر كل خليقة » وحسب بشارة الانجيل « فولدت ابنها البكر » (كولوسى ١ : ١٥) – متى ١ : ٢٥) ، وأيضا فيه خلق الكل ، وعندما تألم صارت آلامه وسيلة الخلاص من الموت ، وهذا لأن كل الكائنات خلقت من العدم بواسطته مما جعله « رأس الجسد الكنيسة » والبكر من الاموات لانه – كما هو مكتوب – يصبح متقدما فى كل شىء » (كولوسى ١ : ١٨) ٠

معنى اتحاد الله بالجسد :

١٦ – فما هو معنى اتحاد صانع كل المخلوقات العاقلة بالجسد ؟ كيف تفهمون – هذا حسب اعتقادكم ، وكيف وهو غير المتغير ولا المتحول صار انسانا ؟ اذا لم يكن قد أخذ صورة العبد ، أى أخذ النفس الانسانية العاقلة وتجسد فبأى معنى يمكن القول انه ظل الكلمة غير المتغير الذى ظل كما هو دون تحول ، وظهر كانسان عاقل ، وهو الاله فى نفس الوقت ٠

حقا ان الرب يدعى « الانسان السمائى » ليس لأنه أخذ جسده من السماء ، بل لأنه بالاتحاد جعل جسده سمائيا ، رغم أنه أخذه من الأرض ، ولذلك نحن الأرضيين قيل عنا « وكما السمائى ، هكذا السمائيين » (١ كورنثوس ١٥ : ٤٨) أى بالاشتراك فى قداسته وهذا ما جعله يأخذ كل صفات الجسد لكى يحوله الى جسد سمائى ٠

معنى « صلبوا رب المجد » :

وأنت تقولون « كيف صلبوا رب المجد » (١ كورنثوس ٢ : ٨)، ولكن حسب فهمكم يصبح من الواضح أن الكلمة رب المجد لم يصلب؟ حاشا لله ٠ انهم لم يمسوا الكلمة عندما صلبوا الجسد وسمروه بالمسامير فى الصليب وبالتالى لم يسمروا اللاهوت ، **وانما سمروا الجسد فجازت النفس وجسد الكلمة آلام الموت والقيامة** ٠ من أجل

ذلك قال الرب لليهود « انقضوا هذا الهيكل وفى ثلاثة أيام اقيمه » (يوحنا ٢ : ١٩) أو كما قال النبى « لأن نفسه قد سكبت للموت » (أشعياء ٥٣ : ١٢ س) ، ويوحنا يقول « بذل نفسه لأجلنا » (١ يوحنا ٣ : ١٦) فهل استطاع اليهود أن ينقضوا هيكل الله وان ينقضوا الاتحاد الفائق بين الكلمة والجسد بالموت ؟ فالجسد لايموت الا اذا انفصل عن شيء ؟ واذا لم تنفصل النفس عن الجسد ؟ فالموت لم يتم ، واذا لم يمت تتم القيامة · آمنوا اذن بانفصال النفس عن الجسد ، كما هو مكتوب فى الاناجيل « اسلم نفسه » (لوقا ٢٣ : ٤٦) « واحنى رأسه واسلم الروح » (يوحنا ١٥ : ٣٠) وبذلك يمكنكم أن تعرفوا أى روح هذه التى انفصلت من الجسد وكيف تم الموت ·

أنتم تقولون « لقد اتحد الكلمة بجسد بلا جوهر عقلى « وهذا يعنى انه عند الموت انفصل الكلمة عن الجسد ، وان هذا هو الموت الذى حدث ، وهذا يعنى بدوره أن اليهود استطاعوا أن ينقضوا الاتحاد الفائق الذى بلا افتراق · **وهذا يعنى أيضا أن المسيح لم يمت موتنا نحن ، بل موتا خاص به لو انفصل اللاهوت عن الجسد· وكيف ظل الجسد بلا فساد بعد ما افترق عن الله غير الفاسد ؟** وحسب رأيكم الفاسد يصبح الفساد هو نصيب الجسد والآلام نصيب الكلمة ، وهكذا تفضح لغتكم عن آلام الله حققه انسجامكم مع الاريوسيين · وحسب رأيكم أيضا فان الكلمة هو الذى قام من الأموات لأن القيامة يجب أن تبدأ بقوة معينة فان لم تكن قد تمت بواسطة اتحاد الكلمة بالنفس والجسد فقد بدأت بقيامة الكلمة ذاته وهو ذاته الذى نزل الى الجحيم حيث الأرواح قد سجنت · وهذا مضاد للتعليم الصحيح ·

١٧ ـ واذا كان الكلمة قد قاسى هـذا كله ، فكيف يمـكن أن نصفه بأنه غير متغير وغير متحول ٠٠٠ ماذا حدث لهاتين الصفتين؟! وكيف يمكن أن نحسب أن الذى نزل الى الجحيـم هو آدم الثـانى الانسان اذا كان الكلمة نزل بلاهوته بدون حجاب النفس الانسانية ؟٠ ولمـاذا قال الرب لليهود ، « أنا اقيمه » أى هيكل جسده ، وليس « انا أقوم من الجحيم » ٠ واذا كان الكلمة قد مات واحتاج الى آخر لكى يقيمـه فانتصر على الموت لا يكون نصر الـكلمة بل نصر الذى اقامه ٠ وأخيرا ما معنى النبوة التى سبق ونطق هو بها على لسان الأنبياء عن « نفسه » ؟٠ وكيف قال الرب عندما تجسد وحقق هـذه النبوة « أنا ابذل نفسى عن غنمى » (يوحنا ١٠ : ١٥) ٠ أليست النفس هى التى تصفها الأسفار المقدسة بالروح ٠ وبالاضافة الى ذلك لقد أشار الرب صراحة الى قتل الجسد وعجز الناس عن قتـل النفس لأنها روح (متى ١٠ : ٢٨) ٠ **لقد كانت هى بذاتها (النفس) هى الروح التى اضطربت فى يسوع (يوحنا ١٣ : ٢١) ، وكانت هى التى فارقت الجسد وهو معلق على الصليب ٠ وهنا مات الجسد، وانفصلت النفس عنه ، بينما ظل الله الكلمة غير متغير فى الجسد وفى النفس ، وفى نفس الوقت فى حضن الآب ، وبذلك أعلن لنـا عدم تغيره** ٠ وهكذا بصورتنا التى صـارت صـورته ، وبها اختبر موتنا ، لكى يؤسس بها القيامة عندما تعود نفسه من الجحيم وتتحد بجسـده فى القـبر ، وبذلك يبيد الموت بالموت ، ويتم القضاء على الفساد فى القبر بدفن جسده اما الخلود وعدم الفساد وزوال سلطان الجحيم فهو القيامة ٠ **لقد سار فى طريقنا نحن لكى نسير نحن فى طريقه ويفـك رباطات الأسر التى ربطتنا وأسرتنا وهنـا الأعجوبة الفائقة التى فيها وهبت النعمـة** ٠ أما أنتم الذين تؤمنون بجسـد بلا نفس فأنتم تعجـزون عن فهم الخطية والدينـونة وانقضاء الموت

وكمال القيامة ، وعدم تغير الكلمة ، لأنكم ابتعدتم عن مجال الأسفار المقدسة ، واعتنقتم سفسطة الآريوسيين ورفضتم التصريحات الصريحة عن النفس التى وردت فى الأسفار المقدسة • **وبدون النفس الانسانية لايمكن أن نتكلم عن التدبير وعن كماله** •

الكلمة هو الاله ••• وهو ذاته تجسد :

١٨ ـ لقد كان الهراطقة قبلكم فريقين الفريق الأول يعترف به كانسان وينكر الوهيته ، والفريق الثانى يعترف بألوهيته وينكر تجسده **وها أنتم صرتم فريقا « ثالثا » يعترف بألوهيته وبحضوره فى جسد ولكن بلا نفس** وصرتم مثل أطفال مجانين للآريوسيين الذين يربطون عدة عقد معا وتشبه هذه افكارهم الملتوية التى يتصيدون بها البسطاء باثارة الشكوك فى اذهانهم وهم فى نفس الوقت يشكون فى الايمان كله • وبنفس هذه الروح الشريرة يسألون البسطاء ، من الذى ولد من مريم « هل هو اله أم انسان ؟ » فاذا جاوبهم أحد وقال انسان ، قادوه على الفور الى انكار الوهيته ، فانضم بذلك الى الهراطقة الذين ينكرون الوهيته • أما اذا قال أن المولود من مريم اله، فهو ينكر ظهوره بالجسد ، ويقودونه مع الفريق الثانى الذى ينكر تجسده • وبعد ذلك يسألونه « من الذى تألم ؟ هل هو اله أم انسان؟» فاذا أجاب وقال اله ، فهو يقاد أيضا الى التجديف مثل الآريوسيين، واذا قال انسان فانه يتكلم حسب آراء اليهود • أما الاجابة الصحيحة فهى ما تؤكده الأسفار فالكلمة هو الاله الكامل الذى من جوهر الآب ، هو ذاته تجسد وتأنس من العذراء فى الأيام الأخيرة ، لكى لا نفقد الايمان بالله ولا ننكر ميلاده بالجسد •

كلمة الجسد تتضمن كيان الانسان كله :

وحيثما وردت كلمة الجسد فان الاشارة تتضمن كيان الانسان كله ، وفى حالة المسيح يصبح من الواضح أن استخدام كلمة جسد يعنى بلا خطية ·

المسيح هو بذاته اله وانسان معا :

واذا كنتم تنسبون الآلام الى الانسان ، ولا تذهبون ابعد من ذلك ، فأنتم تقولون عكس ما تعلنه الأسفار الالهية فهى تؤكد الوهية الكلمة ، وعدم تغيره أو تحوله · فالكلمة اله ، أما الناسوت فهو الموضوع الذى يدخل فى سلسلة الانساب ، **لكى يظهر هو بذاته الها وانسانا وندرك نحن الجانبين اللذين تتحدث عنهما الأسفار** (١٨) · **فهو منذ الأزل الاله الخالق ومالك الخليقة ، وهو أيضا الانسان بسبب ميلاده من امرأة ، ونموه فى الجسد** ·

هو اله من جهة قوته المحيية الفعالة ، وأعماله القوية العجيبة ، وهو انسان بسبب مشاعره التى هى مشاعرنا ، واشتراكه فى ضعفاتنا وتحمله أسقامنا ·

هو بذاته الكلمة الله الذى أعلن لنا خلوده وعدم فساده وعدم تغيره · وهو بذاته الانسان لأنه سمر على الصليب بالمسامير وسال دمه ودفن جسده فى القبر ونزل الى الجحيم ، وقام من الأموات · وهكذا قام المسيح من الأموات ولكن كاله هو الذى يقيم الأموات ·

---

(١٨) يقسم القديس اثناسيوس الكلام عن الابن المتجسد فى الاسفار المقدسة الى موضوعين ، ويوزع النصوص الالهية الخاصة به الى ما يخص الوهيته ، وما يخص انسانيته مع مراعاة أن النصوص تتكلم عن المسيح الواحد غير المنقسم (مقالة ٣ : ٢٩ ضد الاريوسيين) ·